المنبر الحسيني وأثره في نشر العقيدة الإسلامية

السيّد شهيد طالب الموسوي*

توطئة

من مقتضيات الفطرة الإنسانية حاجتها إلى التعلّم، والتوجيه، والإرشاد، بالاعتماد على المناهج العلمية والأساليب التربوية الناجعة، التي تحقق القناعة الفردية، أو العامّة لدى أفراد المجتمع بما تطرحه وسائل الإعلام الدينية، من مواضيع على صعيد العلم والتربية، وتعدّ العقيدة الإسلامية من أهمّ الموضوعات الدينية التي يجب أن تأخذها هذه الوسائل بنظر الاعتبار وإن اختلفت في المنهجيات والخصائص؛ لأنّ العقيدة من الأُمور الذاتية التي تترجم إلى الواقع وتؤثر فيه، وقد تصدّى المنبر الحسيني ليؤدي دوره التبليغي على الصعيد العلمي والتربوي، وأعطى للعقيدة الإسلامية أولوية في خطاباته؛ لأنّه يحمل قيمة معنوية خاصّة نابعة من ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، الذي رفع شعار الإصلاح في هذه الأُمّة، وسنتناول في هذا البحث وسائل الدعوة للدين وأهميّة العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، مع بيان مساحة التبليغ العقدي للمنبر الحسيني، ونقد النمطية التي يخالها بعضٌ نوعاً من التقصير في منهجية المنبر الحسيني.

المنبر الداعوي أنواع ومنهجيات

حرص الإسلام ومنذُ نشأته وبداية دعوته على تكامل الفرد والمجتمع من

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

الناحية العقلية والروحية، وحاول إنقاذ المجتمع من عصر الجاهلية وإيصاله إلى عصر العلم والنور، وإلى منهج الحق الذي ينبغي أن يقود الحياة، فركّز الإسلام على مفردات كثيرة كانت لها أهميّة بالغة في تربية المجتمع وتربية الفرد، فهو وكما يتبيّن من خطاباته القرآنية أو النبوية، كان يستهدف الفرد والمجتمع في آن واحد. ولم يترك الإسلام في حياة الفرد والمجتمع جانباً إلّا وقد أثراه بنظرياته وإرشاداته؛ لحرصه على التكامل من جهة، ووضع الإنسان على طريق هدفه وغايته التي وُجد من أجلها من جهة أُخرى، وأن يكون عنصراً نافعاً وفاعلاً في المجتمع، وأن يكون بناء المجتمع على أُسس الفضيلة والأخلاق والتعاون والقيم، التي تتكفل برفع الظلم والتعسّف والتفرقة، وترسّخ مبادئ الوحدة والتعاون والعطف والرحمة؛ ولأجل ذلك نهج الإسلام ـ لتبليغ مبادئه وقوانينه ـ طرقاً وأساليب متعددة كوسائل إعلامية ناطقة بالعقيدة الدينية وبيان معالم الدين وأحكامه، وكلّ ما يتعلّق بالفرد والمجتمع.

وهذا التنوع في وسائل التبليغ ومجالس العلم، إنّما جاء لأسباب عدّة، منها:

١ـ إنّ التنوع في طبيعته أقرب إلى القبول، فالطبع الإنساني يميل إلى التغيير وينفر من التكرار النمطي، فنفس السليقة والأسلوب قد تُصيب الفرد بحالة من الملل، الذي بدوره يسبب حالة النفور وعدم الاهتمام، فيؤدي إلى عدم تحقق الغرض من الإرشاد والتوجيه.

٢ـ تفاوت المستوى المعرفي والنفسي لدى أفراد المجتمع، فمن المناسب أن يكون هناك تعدد واختلاف في وسائل التبليغ، التي تختلف منهجياتها وطبيعة تعاطيها مع الموضوعات؛ لتغطي أكبر مساحة ممكنة من الأفهام المتنوعة والمتفاوتة لدى الأفراد.

٣ـ حدوث بعض الظروف الطارئة التي تتعلّق بالإنسان، كالظروف الصحية من مرض، أو إعاقة، أو فقر، والتي معها يكون الفرد غير قادر على السفر لطلب العلم، أو حضور المجالس التي لا تلائم وضعه الخاصّ، ممّا يسبب له الحرمان من الانتفاع ببعض أساليب التبليغ، فلا بدّ من إيجاد أساليب أُخرى من وسائل التعليم

والتبليغ، تتكفّل بتوفير المعلومة الملائمة، والتوجيه المناسب لهذه الصنوف وغيرها، وهذا التنوع يحقق الهدف الذي يسعى إليه الإسلام في تبليغ دعوته لمختلف صنوف المجتمع.

وحرص الإسلام على أن يضع لكلّ تكليف أحكامه الخاصّة؛ ليتلاءم ووضع الإنسان الصحي أو النفسي، فعلى سبيل المثال لا الحصر: إنّ صلاة الجمعة تتضمّن خطبتين في أولها، وهي منبر الإسلام التبليغي المعروف، لكن الإسلام رفع وجوب الحضور على المسافر؛ لأنّ المسافر ينتمي إلى بلد آخر له متطلباته وظروفه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية الخاصّة، والخطيب يتعرّض لهذه المسائل، ويحاول وضع الحلول المناسبة لها بما يتلاءم ومتطلبات المجتمع الحاضر، وهذا المسافر ـ بطبيعة الحال ـ لا ينتمي إلى هذا المجتمع، وليس له تأثير مباشر على الوضع الاجتماعي، أو الاقتصادي. ولا شك في أنّ هناك أسباباً أُخرى.

ولهذا كان التنوع والتعدد في وسائل التبليغ ناشئاً من غايات وأهداف موضوعية، تصبّ في تحقيق الغرض من التبليغ، بالقدر الذي يتكفّل بإيصال المعلومة إلى مستحقيها.

ويُعتبر المنبر الخطابي مع تعدّد مصاديقه في الإسلام، من أهمّ وسائل الدعوة والتبليغ والإرشاد، وربما يُعزى ذلك إلى أسباب تارةً تكون فطرية وطبعية، وأُخرى اجتماعية وعرفية، ومنها:

١ـ إنّ الخطابة تعتمد على التبليغ الشفوي للأحكام والعقائد والتعاليم، والكلام يعدّ من أهمّ وسائل الإفهام بحسب طبيعة البشر الفسلجية والفطرية، فالوجدان شاهد على أنّ الحوارات والألفاظ هي أهمّ الوسائل في إيصال المعنى إلى السامع بين أفراد النوع الإنساني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1].

(١) الأحزاب: آية ٧٠.

٢ـ جرت العادة عرفياً واجتماعياً، سواء في المجتمع العربي بشكل خاصّ أو الإنساني بشكل عام، على أنّ أصحاب القضايا المهمّة، الذين لهم الدور المؤثر في المجتمع، يلجأون إلى مخاطبة الناس بعد أن يحتشدوا في مكان معين، سواء كان هذا الحشد لأجل التبليغ أم لمناسبة أُخرى، فلو تقصّينا حالة المجتمع العربي قبل الإسلام، فإنّنا سنجد عدداً كبيراً من المبلّغين كانوا ينتهزون فرص اجتماع الناس في مناسبة معينة؛ ليقوموا بتبليغ آرائهم وأفكارهم وعلى سبيل المثال قس بن ساعدة وخطاباته في سوق عكاظ، «**لمّا قدِم وفد أياد على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات. قال: كأنّي أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلّم بكلام له حلاوة، ما أجدني أحفظه. فقال رجل من القوم: أنا أحفظه، سمعته يقول: أيّها الناس، احفظوا وعوا مَن عاش مات، ومَن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم وملبس، ومشرب ومركب، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أ رضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا، وإله قس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لـمَن أدركه واتّبعه، وويل لـمَن خالفه...**»[1].

ولو تتبعنا سيرته صلى الله عليه وآله منذُ بداية الدعوة الإسلامية وحتى آخرها، لوجدنا أنّه في بداية دعوته لعشيرته الأقربين قام خطيباً فيهم يدعوهم إلى الإسلام، قائلاً: «**إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلّا هو، إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة...**»[2].

أمّا بالنسبة لمجالس العلم ومنابر العلماء، فقد أكّد الإسلام على طلب العلم في مناسبات كثيرة، سواء ما تضمنته آيات الذكر الحكيم أم السيرة النبوية، وقد أكّد

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٢، ص٢٩٩.
(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٦١.

القرآن الكريم على السؤال وطلب العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وعَظّم منزلة العلماء والمتعلّمين، وأنّ لهم المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى؛ لأنّهم حملة العلم، الذي يُمثّل أرفع الأشياء وأعظمها قيمةً ومنزلةً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

أمّا من جهة السنّة والسيرة النبوية، فلا تمرّ مناسبة إلّا كان العلم حاضراً في طيّات كلام الرسول صلى الله عليه وآله، بل لا نبالغ لو قلنا: إنّ كلامه وسيرته وقوله وفعله هو العلم؛ لأنّه هو المعلِّم الأول، وهو القائل صلى الله عليه وآله: «**إنّما بُعثت معلِّماً**...»[3].

ولمجالس العلم الدور الأكبر في تثبيت دعائم الإسلام وبيان تعاليمه وأحكامه وعقائده، بل هي الأساس الذي تعتمد عليه سائر وسائل التبليغ، فمع اختلافها في المنهج والأسلوب إلّا أنّ العمدة في جميعها على العلم والاستدلال، الذي يتحقق في مجالس العلم ويأتي الدور للخطابيات في تأكيد هذه التعاليم، وحثّ الناس على اتّباعها، وممارسة الوعظ والإرشاد؛ للحث على الالتزام بتعاليم الإسلام ومبادئه وقوانينه.

ولذا؛ فمن الأكيد أن تختلف وسائل الإعلام والتبليغ في طبيعة تعاطيها مع الموضوعات من جهة، والغرض الذي تنعقد لأجله من جهة أُخرى، فنجد ـ مثلاً ـ في مجالس العلماء المجتهدين عند التعرّض لموضوع الزكاة في الإسلام، يتناولون هذه المفردة بأدلتها الدالة على وجوبها من الكتاب والسنّة وباقي مصادر التشريع، ثمّ بيان متعلّقها كالنقدين والغلات الأربع وغيرها، وبيان حدّ النصاب فيها، ثمّ بيان مستحقيها، وكلّ ذلك اعتماداً على الأدلة النقلية أو العقلية.

أمّا المنبر الخطابي، فإنّه في حلٍّ من ذلك بالجملة، ويكفيه بعد ثبوت ذلك في

(١) النحل: آية ٤٣.

(٢) الزمر: آية٩.

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ج٥، ص١١٨.

محلّه أن يتعرّض لأحد الأدلة، ولكن ليس لبيان وجوبها تفصيلاً، بل إجمالاً، ويعمد إلى حثّ الناس على تأدية هذا الحق إلى مستحقيه، وبيان أثره الاقتصادي الدنيوي وكذلك أثره الأُخروي.

ويعدّ المنبر الحسيني أحد مصاديق المنبر الخطابي، ولسنا هنا في مقام الشرعنة أو التأسيس الفقهي للمنبر الحسيني بعد ثبوت أنّ الخطابات الدينية لها ظروف متنوعة، فتارةً تكون متضمّنة لبعض العبادات، كصلاة الجمعة والعيدين، وأُخرى ـ وهو الغالب ـ تخرج عن هذا القيد، فالدعوة إلى الله وإلى تعاليم الدين الحنيف، والوعظ والإرشاد، وحمل الناس على الأخلاق الفاضلة والمبادئ النبيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صالحة لكلّ زمان ومكان.

ويبقى التساؤل حول المساحة التي للخطيب أن يخوض فيها في مقام التعرّض للقضايا العقدية والعلمية، وهذا ما سنفصّل الكلام فيه. وبالجملة فإنّ تعدد الوسائل الإعلامية والمنابر الداعوية في الإسلام يترتب عليه اختلاف المناهج وطبيعة تناول الموضوعات الدينية، والمنبر الحسيني من المنابر الخطابية التي تعتمد منهج الخطابة كأُسلوب علمي في طرح القضايا الدينية التي تختلف عن مجالس العلم، أو المنبر العلمي ـ لو صحّ التعبير ـ لاختلاف الأغراض في كلّ منهما.

إنّ طبيعة العلاقة الوثيقة بين المنبر الحسيني وبين قضية الإمام الحسين عليه السلام، وضعته أمام مسؤولية عظيمة؛ لأنّ الانتماء إلى هذه القضية كمنهج وشعار يُحتم عليه أن يتبنى أهدافها، ويسعى لتحقيقها، وهي أهداف الإمام الحسين عليه السلام في إصلاح هذه الأُمّة.

أهميّة العقيدة في الدين الإسلامي

تحتلّ العقيدة في حياة الفرد المسلم أهميّة بالغة؛ لما لها من دور في تحقيق السعادة الدنيوية والأُخروية، والعقيدة الإسلامية الحقّة تعمل على توجيه سلوك الفرد المسلم

نحو الاستقامة والسير على الطريق المستقيم، الذي أراده الله تعالى لعباده، وبيّنه في شرائعه المرسلة عن طريق أنبيائه ورسله، وهي تعمل على ترسيخ القيم والمبادئ في نفس العبد، التي ستنعكس بصورة تلقائية على تصرفاته وأخلاقه وعلاقاته، سواء التي تربطه بربه تعالى أم التي تربطه بالمجتمع بشكل عام، بل وسائر المخلوقات كذلك. فكلّ ذلك إنّما هو ترجمة وواقع فعلي لذلك الجوهر المكنون في نفس العبد وذاته، الذي يُترجم عملياً من خلال سلوكه وأخلاقياته في حياته اليومية. فالعقيدة لها نحو من الارتكاز والذاتية في نفس الإنسان، الذي له ترجمة عملية على الواقع، وهي أبعد من كونها خواطر تجول في ذهن الإنسان، أو أقوال يلعق بها بين حين وآخر. وبناءً على الذاتية الرصينة بين نفس الإنسان وسلوكه حرص الإسلام على بناء الفرد ذاتياً من خلال العقيدة التي توافق فطرته.

والعقيدة لغة: مشتقة من مادة (عقد)، قال ابن فارس: «**(عقد) العين والقاف والدال، أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةٍ وُثوق... يقال: اعتقد فلانٌ عُقْدةً، أي: اتَّخذها. واعتقد مالاً وأخاً، أي: اقتناه. وعَقَد قلبَه على كذا، فلا يَنزِع عنه**»[1].

وقال الراغب الأصفهاني: «**عقد: العقد الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء، ثمّ يُستعار ذلك للمعاني، نحو: عقد البيع، والعهد، وغيرهما، فيقال: عاقدته، وعقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه، قال: (عاقدت أيمانكم)، وقرئ (عقدت أيمانكم)، وقال: (بما عقدتم الإيمان)، وقرئ: (بما عقدتم الإيمان)، ومنه قيل: لفلان عقيدة، وقيل للقلادة: عقد**»[2].

أمّا العقيدة اصطلاحاً، فهي: «**الإيمان بالله تعالى، وبأنبيائه، وما أنزله عليهم، وبأوصيائهم، وباليوم الآخر، وتسمّى أُصول الدين**»[3]. فالعقيدة على هذا التعريف:

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٨٦.
(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٣٤١.
(٣) الفضلي، عبد الهادي، التربية الدينية: ص٢٥.

هي الإيمان بأُصول الدين على اختلاف الفرق الإسلامية فيها. والقرآن الكريم أكّد وبشكل واضح من خلال آياته على مفردة الإيمان من جهة موضوعه، ومن جهة الدعوة اليه، بل إنّ الدين الإسلامي وجميع الأديان السماوية، إنّما قامت على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والأنبياء، قال تعالى: ﴿... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ ...﴾[1]، وهذا هو جوهر العقيدة الدينية، وهو جوهر العقيدة الإسلامية كذلك.

ويظهر لنا من التعريف اللغوي للعقيدة أنّها من مكنونات النفس الإنسانية، وما عقد عليه القلب من مفاهيم حيث أصبحت من ذاتياتها ومن الصعب انتزاعها، والحاصل: إنّ الأُمور الذاتية الكامنة في النفس الإنسانية لها دورها في توجيه السلوك الخارجي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العقيدة تتكون من جزئين رئيسين ـ أي: إنّ لها معنىً مركباً ـ وهما: العلم والإيمان، فالعلم: هو إدراك المفاهيم الدينية الخاصة بالله تعالى، وبأنبيائه، وملائكته، وكتبه، ويوم القيامة، والجنّة والنار، وغير ذلك من موضوعات الدين من الناحية النظرية. ثمّ تأتي المرحلة الثانية، وهي عقد القلب على هذه المفاهيم والتصديق بها «**والإيمان: التّصديق، وهو الذي جزم به الزمخشري في الأساس، واتّفق عليه أهل العلم من اللّغويين وغيرهم**»[2].

أمّا لو قيل: إنّ المعرفة الإلهية غير ممكنة، ومعرفة مقامات الأنبياء كذلك، ولا يمكن لنا عقد القلب على ظاهرة غيبية لا يمكن تحصيل العلم بها.

قلنا: إنّ العلم أو المعرفة إمّا تفصيلية أو إجمالية، وكلاهما تصلح أن تكون موضوعاً للإيمان، أمّا الغيب المحض فيمتنع الإيمان به؛ لعدم بروزه ولو من جهة

(١) البقرة: آية١٧٧.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٨، ص٢٤.

آثاره. وبعض الروايات تُشير إلى هذا المعنى فـ«**عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر**عليه السلام **في قول الله** ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. **فقال: كان هذا قبل نوح**عليه السلام**، كانوا ضلّالاً، فبدا لله، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**»[1].

فعدم المعرفة يُصيِّر الإنسان ضالاً، سواء كانت هذه الضلالة عن قصد، بعد أن تتبيّن له معالم الإيمان على ألسن الأنبياء والمرسلين، أم كانت عن غير قصد، كما هو لسان الرواية المتقدّمة.

وبعبارة أُخرى: إنّ الإيمان بالله تعالى ممكن؛ لأنّ العلم به علم إجمالي وليس علماً تفصيلياً، فنحن نعلم بوجوده تعالى إجمالاً، أمّا طبيعة هذا الوجود وكيفيته فهي غائبة عنّا، لكن الإيمان يكفي من هذه الجهة، أو من جهة الجزم بوجود خالق لهذا الكون بما فيه من مصنوعات.

أمّا تأثير العقيدة على السلوك الإنساني، فيظهر من الآيات القرآنية أنّ العقيدة لها الدور الأساس في تهذيب السلوك الإنساني، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾[2]. فمنشأ هذا الموقف تجاه أعداء الله ورسوله، إنّما هو العقيدة الحقّة، والإيمان الصلب الراسخ في وجدانهم، الذي يستتبع عدم المودّة لـمَن حادّ الله ورسوله، ثمّ تقول الآية ذاتها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

يقول السيّد الطباطبائي «**ثمّ الروح ـ على ما يتبادر من معناها ـ هي مبدأ الحياة التي تترشح منها القدرة والشعور، فإبقاء قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ على ظاهره يُفيد أنّ للمؤمنين وراء الروح البشرية التي يشترك فيها المؤمن والكافر روحاً أُخرى، تفيض عليهم حياة أُخرى، وتصاحبها قدرة وشعور جديدان**»[3].

---

(١) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج١، ص٤٥١.

(٢) المجادلة: آية٢٢.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص١٩٧.

وربما قيل: إنّ العبادات أو ظواهر الشريعة، هي التي تؤثر على بواطن الإنسان، وهي التي تهذّب سلوكه وليس العكس، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]. و«**التقوى: هي الإحساس بالمسؤولية، والتعهّد الذي يحكم وجود الإنسان، وذلك نتيجة لرسوخ إيمانه في قلبه، حيث يصدّه عن الفجور والذنب، ويدعوه إلى العمل الصالح والبر، ويغسل أعمال الإنسان من التلوثات، ويجعل فكره ونيته في خلوص من أيّة شائبة**»[2].

والجواب عن ذلك بعد مقدّمتين:

الأُولى: إنّ الإنسان ينقسم إلى ظاهر وباطن، أمّا الظاهر فله اعتبارات متعددة، منها: وجوده الفيزيائي من وزن وحجم وكتلة، كذلك مادته الكيميائية، وما يحتويه الجسد من عناصر كيميائية مختلفة، وأعضائه الحيوية، وباطن الإنسان هو مجموعة من الأمزجة والقابليات العلمية (العقلية)، والنفسية (الأخلاقية).

الثانية: إنّنا وإن كنّا نعدّ ظاهر الإنسان بمجموعه وحدة واحدة إلّا أنّه حقيقة متغايرة من حيث عناصره الكيميائية أو آثاره الخارجية، وهذا الأمر نفسه يسري إلى باطنه، فهو أيضاً متعدد بمعنى أنّنا قد نعدّ أشياء كثيرة من بواطن الإنسان، وهي مختلفة بطبيعة الحال كالعقل، والقلب، والنفس، والروح.

فإذا تمّت المقدّمتان السابقتان تبيّن أنّ العقيدة وإن كانت تُعدّ من بواطن الإنسان وذاتياته، كذلك الأخلاق هي من ذاتيات الإنسان وبواطنه أيضاً، وهما مختلفتان. فالتقوى صفة نفسانية أخلاقية، أمّا العقيدة، فهي علم وإيمان، بمعنى أنّ لها جنبة عقلية وقلبية. فالعقيدة هي المؤثر في سلوك الإنسان، وهذا السلوك هو الذي يؤثر في أخلاق الإنسان.

---

(١) البقرة: آية ١٨٣.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٦، ص٥٦٧.

فالصوم كسلوك نابع من عقيدة المؤمن بالله تعالى ووجوب طاعته، وهو بدوره - الصوم وسائر العبادات - له تأثيره على أخلاق الإنسان وطبائعه النفسية.

وللعقيدة في حياة الفرد والمجتمع أثر واضح وعلى صُعُد عدّة، ومنها:

١ـ على صعيد العقل والمعرفة

فمن أبرز المدارس التي تهتم بهذا الجانب، هما: مدرسة الفلاسفة، والعلوم التجريبية، وكلا الاتجاهين حاول أن يفسّر كثيراً من الظواهر ويستنتج الماورائيات، بالاعتماد على أدواته؛ لتكوين رؤية متكاملة حول الكون والله والوجود، في حين أنّ العقيدة التي تنبع من الرسالات السماوية كانت لها تفسيرات وحجج على ذلك، قطع المؤمنون بها شوطاً كبيراً، ووفرت على الإنسان المؤمن الكثير من الجهد والكد للوصول إلى المعرفة الحقّة واليقين الصادق، وشواهد التنزيل والسنّة ملأى بهذا الجانب، الذي رفد العقل الإنساني بالمعرفة والتفسيرات على تساؤلاته.

٢ـ على صعيد الروح

ولعلّه أهمّ الجوانب الذي أفلست منه سائر الاتجاهات، في حين كان الاتجاه الديني بواسطة العقائد قد أعطى للروح الإنسانية غذاءها، بل كان تركيز العقيدة الدينية والإسلامية على وجه الخصوص هو الجانب الروحي؛ لأنّها تمثّل نقطة ارتكاز الوجود الإنساني، وهي لها طبيعتها الخاصة التي خُلقت عليها، التي يُعبّر عنها بالفطرة، فجاءت العقيدة الإسلامية على طبق هذا الجوهر وفطرته؛ لتسير به إلى غايته وهدفه الذي يلائم وجوده الملكوتي، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

(١) الإسراء: آية ٨٥.

٣ـ على الصعيد الاجتماعي

وللعقيدة أثر واضح في الجانب الاجتماعي؛ لكونها تعمل على بناء الفرد عقلياً وروحياً، وتُحيي فيه الضمير الإنساني، الذي ينعكس على سلوكه وتصرفاته وطبيعة علاقاته الاجتماعية، فالفرد كجزء لا يتجزأ من المجتمع ينتج حالة من التوافق الفكري والأخلاقي والروحي، فتتسامى معاني الإنسانية في ذلك المجتمع، ويكون مجتمع بنّاء، وهذا ما نفتقده بشكل واضح في أغلب المجتمعات الإسلامية؛ والسبب يعود إلى أنّ العقيدة الإسلامية لا تعدو كونها حبراً على ورق أو أصواتاً تصكّ سمعنا ليلاً ونهاراً، دون أن نرى لهذه العقيدة أثراً واضحاً في السلوك والمعاملة، وليس لها أيّ رسوخ في نفس الفرد ووجدانه، ولم تتملك جوانحه وجوارحه، وهذا عين ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه المجتمع آنذاك؛ حيث قال: «**إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون**»(١).

وقد صدحت آيات الذكر الحكيم بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والإيمان بالأنبياء والرسل والتصديق برسالاتهم واتّباعهم، وهذا التركيز إنّما يأتي لبيان أهميّة العقيدة، وكونها محور الوجود الإنساني ومنشأ سائر القضايا الدينية، كالعبادات، والمعاملات، والأخلاق وغير ذلك، قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾(٢).

وعلى هذا فإنّ الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتنشئة المجتمع والأفراد عليها بشقيها (العلم بها، والحثّ على الإيمان، وعقد القلب عليها) يُعتبر من أهمّ أولويات

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٢٤٥.
(٢) النمل: آية١ـ٣.

الخطاب الديني، جرياً على ما جرت عليه آيات الذكر الحكيم والسنّة النبوية، وبحكم العقل كذلك، باعتبار أنّها منشأ كلّ الخيرات، فإن كان الحال هكذا، فاللازم أن تكون للعقيدة الإسلامية المساحة الأكبر فيما يتناوله الخطاب الديني بصورة عامّة والمنبر الحسيني بوجه خاصّ.

المنهج الإسلامي في الدعوة للعقيدة والتشريع

اعتمد القرآن الكريم والسيرة النبوية في التبليغ والدعوة إلى العقيدة والدين على منهجيات مختلفة، مراعياً بذلك نقاطاً متعددة ورد ذكرها فيما تقدّم، أمّا الآليات التي اعتمدها فيمكن ملاحظتها وبيان طبيعتها من خلال بيان المهم منها. فكلّ دعوة تحاول تبليغ رسالتها تنتهج أساليب مختلفة تلائم الذوقيات المتعددة والاستعدادات والقابليات المختلفة، وهذه الأساليب تنقسم على أقسام متعددة منها:

١ـ المطبوعات أو المقروءات: أي القراءة من الكتب المطبوعة بشكل مباشر عن طريق الفرد نفسه أو غير مباشر كقراءة القرآن الكريم على أيدي المشايخ القرّاء، فتارةً يتولى الشيخ القراءة بنفسه على الطالب، وأُخرى يتولى الطالب القراءة والشيخ يسمع له ويصحح أخطاءه وقد جرت هذه السيرة حتى على سائر كتب الحديث وغيرها، وتعتبر القراءة أو السماع عليه في النوع الثاني من أقسام الإذن بالرواية، وأحد طرق نقل الحديث.

وهذه الطريقة تعتمد أولاً على القراءة، ويأتي في المرتبة الثانية التدبر والتفكر في معاني ما يقرأ. أمّا في القراءة فقد حثّ القرآن الكريم على القراءة في آياته أيضاً، قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾[1].

وقال تعالى في حثّه على التدبر في آيات القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ

(١) المزمل: آية ٢٠.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]. وحثّت السنّة النبوية الشريفة وروايات العترة الطاهرة على القراءة والتدبر «**اقرؤوا القرآن فإنّ الله تعالى لا يعذِّب قلباً وعى القرآن**»[2]، وممّا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**أَلا أُخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؟ مَن لم يؤيس الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله تعالى، أَلا لا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في فقه لا ورع فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها...**»[3].

وهذه الشواهد تبيّن أهميّة القراءة الواعية للقرآن الحكيم، التي يلازمها التدبر والتفكر في آياته التي تضمنت مفاهيم الدين والعقيدة الإسلامية، ودعت إليها وأقامت عليها الحجج والبراهين؛ لأنّ من أُصول كلّ دعوة أن تكون مدعومة بالبراهين والحجج البالغة، حتى تكون قابلة للإيمان بها والتسليم لها. وتستمر هذه العلاقة بين القرآن والعقيدة ولا تنقطع عند المؤمن مهما علت درجة إيمانه؛ لأنّ الإيمان بمنزلة الشجرة التي تحتاج إلى الرعاية، والقرآن الكريم يعتبر بمنزلة المعين الصافي الذي يغذّي شجرة الإيمان بشكل مستمر، حتى تزهر ثمارها، وتؤتي أُكلها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لقاح الإيمان تلاوة القرآن**»[4].

٢ـ الخطابيات: حثّت الشريعة الإسلامية على القراءة والتفكّر والتدبر، وحرصت على خلق أجواء عبادية عامّة، تجمع المسلمين في مناسبات خاصّة، منها: السنوية، كالعيدين، في موسم الحج، وبعد نهاية شهر رمضان، ومنها: أُسبوعية، كصلاة الجمعة، وتضمّنت هذه المواسم العبادية الخطب التي يؤديها أئمّة الصلاة، وبالجملة يتناول الخطباء في خطبهم أهمّ الموضوعات الدينية لتوجيه الناس إليها والحثّ على التمسّك بها وترجمتها عملياً في الواقع الحياتي، إضافة إلى معالجة القضايا

(١) محمد: آية ٢٤.
(٢) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١، ص٥١٢.
(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جامع الأحاديث: ج٤، ص١١٨ـ١١٩.
(٤) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٢٢.

السياسية التي تخصّ المجتمع. وتعتبر العقيدة الإسلامية من أهمّ الموضوعات التي تتناولها هذه الخطب. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ...﴾[1]، فالبيع وإن كانت له مصالح اقتصادية تنفع المجتمع المسلم، إلّا أنّ الله تعالى قد فرض في هذا الوقت تركه والسعي لهذه الفريضة، وذكر الله الذي تتضمنه الخطبة؛ لأنّه تعالى أعلم بمصالح العباد؛ ولذا قال تعالى في ذيل الآية ذاتها: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أي: إنّ ذكر الله تعالى خير من البيع في هذا الوقت، وهي دلالة أُخرى على أهميّة العقيدة وكونها من المصالح العليا للمجتمع والأفراد.

أمّا بشكل عام، فإنّ التبليغ الرسالي سواء على مستوى العقيدة أم سائر القضايا الدينية من أحكام وغيرها، قد جرى على لسان المصطفىﷺ خلال حياته مع الصحابة، كما كانﷺ في بعض القضايا وخاصة قضايا العقيدة الإسلامية، يلجأ إلى الأسلوب الخطابي، ويسوق المقدّمات لعرضها بالشكل الذي يؤكّد من خلاله أهميتها. ولنا في خطبة حجة الوداع خير شاهد، عندما صدحﷺ بأمر الله تعالى في بيان طبيعة أمر الأُمّة الإسلامية من بعده، بعد أن فرض ولاية أمير المؤمنين، وشهد له بالبيعة سائر المسلمين، تلك الحادثة التي تناقلتها المصادر الإسلامية بمختلف أصنافها وبلغت حداً لا يمكن معه إنكارها حتى من المعاند.

وهي دالة على أهميّة الجانب العقدي الذي دفع النبيﷺ إلى أن يختار هذه المناسبة وذلك الموقف؛ لتبليغ أصلٍ مهمٍّ من أُصول الدين، وهو الإمامة والولاية، قالﷺ: **«ألستم تعلمون أنّي أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. فأخذ بيد علي، وقال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال مَن والاه وعاد مَن عاداه»**[2].

(١) الجمعة: آية٩.

(٢) الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص٦٧.

٣ـ الشعر: ويأتي دور الشعر والشعراء في رفد الدعوة الإسلامية بوسيلة إعلامية أُخرى تضاف إلى الوسائل والمنابر الإعلامية، ويعتبر الشعر من ذوقيات العرب، الوطن الأول للدعوة الإسلامية، ولا شكّ في أنّ استئناس العرب بالشعر الذي ينسجم مع المزاج العام للفرد العربي، كان له دور هام في الدعوة الإسلامية بعد إضفاء صفة الشرعية من قِبل النبيﷺ في خصوص الشعر الذي يمثّل دعوة للقيم والمبادئ الإسلامية من عقائد أو أخلاق، فقد ورد أنّ حسان بن ثابت وفي غدير خم بعد البيعة لأمير المؤمنينعليه السلام أنشد قائلاً:

«يناديهم يوم الغدير نبيُّهم ... بخمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمَن مولاكم ونبيُّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيُّنا ... ولم تلقَ منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمَن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أتباع صدق مواليا»[1]

فقال له النبيﷺ: «**لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**»[2].

٤ـ مجالس العلم: وهي المجالس الخاصّة التي تُعقد إمّا للتعليم أو للفتيا، والسيرة النبوية حافلة بذلك؛ حيث كان الصحابة الأوائل يسألون النبيﷺ في مجلسه عن مختلف المسائل الدينية، وكان النبيﷺ يجيبهم بمقدار السؤال أو أكثر من ذلك بما يراه ملائماً للجالسين، والسيرة النبوية وكتب الحديث خير شاهد على أنّهﷺ معلِّم المسلمين الأول، ومعلِّم العلماء، وهو مدينة العلم كما قالﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمَن أراد المدينة فليأتها من بابها**»[3].

(١) الأميني، عبد الحسين بن أحمد، الغدير: ج٢، ص٣٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١٣، ص ١٤٨.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، فانفتح من كلّ واحد منها ألف باب**»(١).

ثمّ تصدى أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان منبره العلمي والخطابي في الكوفة ناطقاً بالعلم والعمل، ودفع الشبهات، وتوجيه الناس للعقيدة والفضيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعده تصدى أهل البيت عليهم السلام لهذه المجالس؛ لأنّهم منبع العلم والحكمة، وخزّان الوحي، فكانت لهم مجالس للفتيا وتعليم الناس وتوجيههم. وحثّ أهل البيت عليهم السلام أتباعهم ممّن وصل إلى مستوى عالٍ من العلم، أن يجلس ويُفتي الناس وذلك كـ (أبان بن تغلب) فقد «**كانت له عندهم خطوة وقدم. وقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس، فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أتاه نعيه: أَما والله، لقد أوجع قلبي موت أبان**»(٢).

٥ـ المناظرات: والمناظرة لفظ استُعمل للدلالة على صناعة الجدل (طوبيقا)، وتعدّ من وسائل إثبات الدعوى أمام الخصوم، مع ما لها من آثار على الجمهور عند الغلبة وانهزام الخصم، وقد تكون نافعة عندما يكون الخصم متحرياً للحقيقة وطالباً لها، وقد حدثت في زمن أهل البيت عليهم السلام مناظرات كثيرة، كانت لهم الغلبة فيها، وهي بالتالي قد عزّزت بهذا الانتصار حقانية الدعوة الإسلامية من جهة، وبيان أحقيّة أهل البيت عليهم السلام في التصدي لولاية المسلمين دون سواهم؛ لأنّهم الأعلم بأُمور الدين فضلاً عن الدنيا من جهة أُخرى. وكان للإمام الصادق عليه السلام مناظرات عدّة، منها: ما كان بينه وبين الديصاني، وابن أبي العوجاء، وغيرهما، كذلك ما دار بين الإمام الرضا عليه السلام والعلماء من الديانات الأُخرى في مجلس المأمون؛ إذ «**قال** عليه السلام: **يا نصراني**

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج١، ص٢٢٢.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٥٧.

والله، إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمدﷺ، وما ننقم على عيساكم شيئاً إلّا ضعفه وقلّة صيامه وصلاته. قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلّا أنّك أعلم أهل الإسلام، قال الرضاعليه السلام: وكيف ذلك؟! قال الجاثليق: من قولك: إنّ عيساكم كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قطُّ، ولا نام بليل قطُّ، وما زال صائم الدهر، قائم الليل. قال الرضاعليه السلام: فلمَن كان يصوم ويُصلي؟! قال: فخرس الجاثليق وانقطع»[1].

الخطابة واقتضاء الفطرة الإنسانية للتوجيه والإرشاد

الخطابة لغة: هي الكلام بنحو خاصّ «وخطب الخاطبُ على المنبر خطابَةً، بالفتح، وخُطْبَةً، بالضم، وذلك الكلام خُطْبَةٌ أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه. ورجل خطيبٌ حسن الخُطْبَة»[2].

أمّا اصطلاحاً، فقد عُرّفت بتعاريف شتى، منها: «فنّ مشافهة الجمهور، وإقناعه واستمالته. فلا بدّ من مشافهة، وإلّا كانت كتابةً أو شعراً مدوّناً، ولا بدّ من جمهور يستمع، وإلّا كان الكلام حديثاً أو وصية، ولا بدّ من الإقناع، وذلك بأن يوضّح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيّده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده، ثمّ لا بدّ من الاستمالة، والمراد بها أن يُهيّج الخطيب نفوس سامعيه أو يُهدئها، ويقبضَ على زمام عواطفهم، يتصرّف بها كيف شاء، سارّاً أو مُحزناً، مُضحكاً أو مُبكياً، داعياً إلى الثورة أو إلى السكينة. وإذاً فأُسس الخَطابة: مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة»[3].

وكان لليونانيين الدور البارز على مستوى التنظير والتأسيس للخطابة، وجعلوا الهدف من الخطابة هو إقناع الناس وإدهاشهم كما ورد في تعريفها عند أرسطو «قوّة

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص٤٢١ـ ٤٢٢.
(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص١٠٤.
(٣) الحوفي، أحمد، فن الخطابة: ص٥.

تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ واحد من الأُمور المفرَدة»[1].

ويظهر أنّ الخطابة تعتمد على الكلام؛ لأنّها عبارة عن مشافهة غرضها الإقناع وحمل الجمهور على التصديق، وللخطابة خصائص ومميزات تستقل بها عن باقي الصناعات، كالبرهان، والجدل (المناظرة) وغيرهما، وقد بينته كتب المنطق والفلسفة، ويبقى السؤال عن الحاجة إلى الخطابة، وما هو منشأ هذه الحاجة؟

أمّا الجواب عن الحاجة إلى الخطابة، فهو كونها وسيلة ناجحة لإقناع الجمهور وتصديقهم، ثمّ إنّ المجتمع ينقسم على قسمين: (الخاصّ، والعامّ)، ونعني بالخاص: الطبقة المثقفة من العلماء والمفكّرين، وهذه الطبقة بحاجة إلى القياس الذي يشتمل على المقدّمات البرهانية؛ لإثبات أيّ قضية مطلوبة وهي ـ هذه الطبقة ـ لا تحتاج عادة إلى ما يلازم الخطابة من عناصر التأثير، ولكن هذا لا يشمل عموم هذه الطبقة، «**بل أكثر الخاصّة المثقفين ـ وإن ظنّوا في أنفسهم المعرفة وحرية الرأي ـ ينجذبون إلى الطرق المقنعة المؤثرة على العواطف وينخدعون بها، بل لا يستغنون عنها في كثير من آرائهم واعتقاداتهم، بالرغم على قناعتهم بمعرفتهم وثقافتهم التي قد يتخيلون أنّهم بلغوا بها الغاية**»[2]. وبما أنّ السواد الأعظم من الجمهور هو من طبقة العامّة، أصبح من الضروري وجود فن إقناع، ووسيلة تبليغ تلائم هذه الطبقة.

أمّا منشأ هذه الحاجة، فهل هو ضروري أم فطري؟ والأصوب أنّه فطري نابع من حاجة الإنسان الفطرية إلى الإرشاد والتوجيه، كحاجته الفطرية إلى العلم والتعلّم وغير ذلك من الاندفاعات والاستعدادات التي تُولد مع الإنسان، ويعمل على تغذيتها من خلال محيطه الخارجي. والإنسان بطبعه يميل إلى التعلّم والمعرفة، مع أنّه وُجد خالي الوفاض، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ

(١) طاليس، أرسطو، الخطابة: ص٩.

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٣.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ...﴾[1]. فالدافع الحقيقي إلى العلم والتعلّم هو الفطرة، بمعنى أنّ لديه الاستعداد والقابلية للتعلّم ومنشأه فطري وغريزي.

وللفطرة تفسيرات عدّة وردت في الأثر، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ...﴾[2] وقد أورد الطبري في تفسيره أقوال عدّة، فمنهم مَن قال: إنّها العهد الذي أخذه الله على بني آدم، ومنهم مَن قال: إنّها الإسلام، ومنهم مَن قال: إنّ الفطرة هي الإسلام منذُ خلق آدم عليه السلام، «**قال ابن زيد في قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قال: الإسلام مُذ خلقهم الله من آدم جميعاً، يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قال: فهذا قول الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ بعد**»[3].

ولا تعارض في الأقوال التي ذكرها الطبري لو قلنا: إنّ الإسلام دين الله تعالى منذُ أن خُلق الإنسان، أي: منذُ خلق آدم. والأنبياء جرى على لسانهم هذا المعنى، قال تعالى حاكياً عن لسان يوسف عليه السلام: ﴿...أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[4]. بمعنى أنّ الشرائع السماوية وإن اختلفت بأحكامها إلّا أنّ الدين عند الله تعالى هو الإسلام، والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى و«**أنّنا نؤمن بدليل كافٍ للاطمئنان بعضه ظاهري وبعضه باطني، أنّ الأنبياء السابقين كانوا مسلمين، بل كانوا مسؤولين عن ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ إذ لا نجاة لأيّ بشر من آدم إلى يوم القيامة إلّا بولايتهم، وأَوْلى مَن يلتزم بولايتهم هم المعصومون السابقون على الإسلام، الذين هم الأنبياء والرسل**»[5].

---

(١) النحل: آية٧٨.

(٢) الروم: آية٣٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج٢١، ص٤٨.

(٤) يوسف: آية١٠١.

(٥) الصدر، محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام: ص٣٢.

أمّا كون الفطرة هي الإسلام، أو التوحيد، أو الدين، باعتبار أنّها السنن والقوانين التي يجب أن يلتزم بها الإنسان؛ ليصل إلى سعادته وتحقيق غاية وجوده في الدنيا والآخرة، وأنّ أيّ انحراف عن هذه القيم إنّما هو مخالف لفطرته وخلقته، وسيُسبب ذلك خسرانه بكلّ تأكيد «**وقوله:** ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ **الفطرة بناء نوع من الفطر، بمعنى الإيجاد والإبداع، و(فطرة الله) منصوب على الإغراء، أي: الزم الفطرة، ففيه إشارة إلى أنّ هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له، هو الذي يهتف به الخلقة، ويهدى إليه الفطرة الإلهية، التي لا تبديل لها؛ وذلك أنّه ليس الدين إلّا سنّة الحياة، والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها، حتى يسعد في حياته، فلا غاية للإنسان يتبعها إلّا السعادة، وقد هدى كلّ نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته التي هي بُغية حياته بفطرته ونوع خلقته، وجهّز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز**»[1].

ومن مقتضيات الفطرة الإنسانية حاجتها إلى التوجيه والإرشاد، ووضع الفرد على الطريق الصحيح، ولو كانت الفطرة غير منفعلة بالعوامل الخارجية، لانتفى الغرض من بعثة الأنبياء والرسل، والذي يوضح دورهم في التبليغ والتبشير والإنذار؛ ولذا يعدّ التوجيه والإرشاد وتحفيز هذه النزعة الفطرية عند الإنسان للتوحيد والدين، ثمّ الطاعة والامتثال من ضروريات استدامة السير على طريق الحق تعالى، أمّا أن يُترك الإنسان دون أن يكون له مربٍّ وموجّهٍ ومعلّمٍ فإنّه سيقع فريسة لتيارات الانحراف، والشرك، والعقائد الفاسدة؛ ولذا نرى أنّ القرآن الكريم كان له منهجه الخاص في إثارة دفائن الفطرة الإنسانية، وتوجيهها بالطرق التي تنسجم معها، وهذا الاستعداد بحاجة إلى تفعيل طاقاته الكامنة في النفس الإنسانية، ودور العلم والتعلّم، وكذلك دور التربية يأتي لتغذية هذا الاستعداد وهذه القابلية، فيكون الفرد على المسار الصحيح الذي يلائم طبيعته الإنسانية، وأمّا إذا ابتعد عن ذلك،

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص١٧٨.

واكتسب ما لا يلائم هذه الطبيعة والفطرة، فإنّه بذلك يخرج عن طوره الإنساني، ويفتقد لبعده المعنوي، ويكون آلة بيد الانحراف الأخلاقي أو السلوكي.

ودعوة القرآن إلى الاستماع ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ...﴾[1] ـ تبيّن حاجة الإنسان إلى التوجيه والإرشاد، واتّباع الأحسن والأفضل، والذي يكون نافعاً وموجهاً للإنسان إلى الهداية.

والتفت اليونانيون إلى هذه الحاجة الفطرية، وعمدوا إلى التنظير في مجال الخطابة؛ كونها تعتمد على عنصر التأثير والإقناع، وكون «**الجمهور لا يخضع للبرهان ولا يقنع به، كما لا يخضع للطرق الجدلية؛ لأنّ الجمهور تتحكم به العاطفة أكثر من التعقل والتبصر**»[2]، ولعلّ الحاجة للخطابة بدت ضرورية أكثر بعد أن بدأ الجمهور يأخذ دوره في التأثير على القرارات العامّة في المجتمع، على أنّنا لا نرى هذا الدور واضحاً في القِدم، فبعض الأنبياء كإبراهيم وموسى عليهما السلام كانت دعوتهم مركّزة على أصحاب القرار، كالنمرود في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، وفرعون في زمن موسى عليه السلام، كما هو واضح لـمَن تتبع قصصهم في القرآن الكريم، أمّا بعد أن تمتع الجمهور بشيء من الحرية وإن كانت نسبية، ظهرت الحاجة لسلوك جديد هدفه التأثير على الجماهير، «**فيحتاج مَن يُريد التأثير على الجماهير أن يسلك مسلكاً آخر غير مسلك البرهان والجدل المتقدّمين؛ فإنّ الذي يبدو أنّ الطرق العقلية عاجزة عن التأثير على عقائد الناس وتحويلها**»[3]؛ ولذلك ظهر فن الخطابة.

لكن المقاصد قد تختلف في الإسلام أو في زمن الأنبياء، فالحثّ على العلم والتعلّم، والتربية والتوجيه، وتبليغ الرسالات السماوية، ليس غايته حمل المجتمع على قضية لصالح جهة معينة، بل يستهدف الإسلام وجميع الرسالات السماوية أولاً

(١) الزمر: آية ١٨.
(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٢.
(٣) المصدر السابق: ص٤٢٢ ـ ٤٢٣.

وبالذات الفرد نفسه والمجتمع؛ لأنّ وظيفتها تصحيح مساره ضمن الواقع الحقيقي الذي يحفظ له مصلحته، والذي يحمل الفرد على أن يتحلّى بالقيم الإنسانية والمبادئ النبيلة، بما يلائم وعي الجماهير ومستواهم الفكري.

المنبر الحسيني بين صناعته الخطابية ونقد النمطية

تقدّم بيان التنوع في الأسلوب التبليغي والإرشادي في الإسلام، وتعدد الطرق والوسائل الإعلامية لإيصال الفكر الإسلامي إلى الفرد والمجتمع، وتبيّن أنّ ذلك التعدد هو لتغطية أكبر مساحة ممكنة؛ من أجل إيصال كلمة الحق والعدل للناس، وبيان التعاليم الإلهية الحقّة في مختلف مجالات الحياة، واعتمد التبليغ في الإسلام بشكل أساسي على المنهج الخطابي؛ لِما يتمتع به هذا الأسلوب من سهولة الوصول إلى وجدان الفرد وترسيخ القضايا الدينية في المجتمع؛ لتكون منهجاً حياتياً صالحاً لقيادة المجتمع، ولتحقيق صلاحه وصلاح الأفراد، ولهذا المنهج ـ الخطابي ـ أُصول وقواعد اعتمد عليها المنبر الحسيني في إعمال صناعته الخطابية، وفي تعرضه للقضايا العامّة والخاصّة التي تدخل في شؤون المجتمع والأفراد، وتعمل على معالجة مواضع الخلل في البنية الاجتماعية، سواء كان باعثها دينياً عقدياً أم أخلاقياً، أو غير ذلك.

ولما كانت العقيدة الدينية هي منشأ السلوك عند الأفراد؛ لِما لها من أهميّة في حياة الإنسان بشكل عام، وكونه مخلوقاً لله تعالى، فعليه أن يستمع إلى توجيهاته وتعاليمه التي جرت على لسان الأنبياء والرسل؛ لذلك أكّدت الشرائع السماوية بشكل واضح على العقيدة والإيمان، ثمّ العمل الصالح. وهذه الخطوط العامّة هي ما ينبغي على المنبر الخطابي الإسلامي عموماً، والمنبر الحسيني بشكل خاصّ، أن ينتهج مبادئها، وأن يعمل على بنائها وترسيخها في المجتمع المسلم.

وبما أنّ المنبر الحسيني على وجه الخصوص يعدّ من الوسائل الإعلامية أو التبليغية، التي تعتمد على فن الخطابة في تحقيق أغراضه المتقدّمة في طرح الموضوعات

الدينية، وإعمال الصناعة الخطابية في إقناع الجمهور بها، والتأثير عليهم إلّا أنّه قد يستقل في بعض خصوصياته؛ لأنّه ينتمي إلى عنوان خاص وهو القضية الحسينية، بل هو قائم على هذا الأساس، وأيّ دور تبليغي عقائدي أو إرشادي، إنّما هو محكوم بمقدار ما يفرضه عليه هذا الانتماء، والحق أنّ هذا الانتماء لا يغيّر في منهجيته ومقدار تناوله لمسائل الدين وحسب، بل يعدّ من العوامل الرئيسة التي تساعده على توسيع مهمته التبليغية، ولكنّه لا يخرج عن كونه وسيلة إقناع وتبليغ خطابية تختلف عن منابر العلم ومجالسه التي تتناول الموضوعات الدينية المحضة، والاستدلال عليها بالطرق التقليدية، ويمكن بيان وجه المقارنة بين المنبر الخطابي والعلمي من خلال النقاط الآتية:

١ـ تعدد الموضوعات التي يتعرّض لها المنبر الخطابي؛ لأنّ غرضه ليس إثبات ونفي قضية علمية محضة بالطرق البرهانية أو الجدلية، بل يكفيه تناول موضوع معين وبيان حقانيته أو بطلانه بشكل إجمالي، وبيان ما يتعلّق به وآثاره على الصعيد الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو النفسي... وبمعنى آخر: فإنّ الغالب على هذه الصناعة تعدد موضوعاتها، وعدم محدوديتها بعلم أو مسألة معينة، «**وأمّا الخطابة، فإنّ العامّة لا يهتدون إلى تمييز الموضوعات بعضها عن بعض، وتخصيص الكلام في موضوع مبني على مبادئ تليق به وحده، على ما توجبه الصناعة البرهانية**»[1]، أمّا المنبر العلمي فغير قادر على التنوع في طرح المسائل؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى نقض الغرض الذي أُقيم من أجله، فهو يتعرّض للمسائل العلمية التي تدخل في أحد حقول العلم والمعرفة وفي اختصاص محدد، ولا شكّ في أنّ مسائل كلّ علم مترابطة فيما بينها، وتحتاج إلى أن تُبحث بشكل متسلسل؛ حتى يستوعب الطالب جميع مسائل ذلك العلم، ويمكنه أن يتعرّف على دقائقه وتفرعاته.

(١) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق ـ فصل في عمود الخطابة وأجزائها والتفريق بينها وبين الجدل): ص٧.

٢ـ تعتمد الخطابة في مادتها على نوع خاص من القضايا، تتألف منها حجتها الإقناعية للوصول إلى النتيجة التي تُريد إقناع الجمهور وتصديقه بها، وأهمّ هذه القضايا هي المشهورات، والمظنونات، والمقبولات، «**واستعمال المشهورات في الخطابة باعتبار ما لها من التأثير على السامعين في الإقناع**»[1]، ولا شكّ في أنّ كلّ علم لديه مختلف أنواع القضايا التي تصلح كمادة في طرق الاستدلال على مسائله على أن تحدد في الخطابيات على ما كان مشهوراً ومقبولاً والتي تُفيد الظنّ المعتبر في إيجاد القناعة والتصديق عند الجمهور؛ ولذلك يعتمد المنبر الحسيني غالباً على العمومات، سواء ما ورد في القرآن الكريم أو السنّة النبوية المعتبرة؛ لأنّها قضايا تُفيد الاطمئنان، بل الوثوق أيضاً. أمّا مجالس العلم، فإنّ غايتها تحقيق نتائج يقينية وإقامة الدليل عليها، فغالباً ما تكون مادتها في القياس مؤلفة من القضايا اليقينية.

٣ـ من أهمّ ما يتميّز به المنبر الخطابي هو غايته التوجيهية والإرشادية والتربوية، وعليه فهو يتمتع بالشمولية والعموم، ولا يقتصر على محافل خاصّة أو فئة معينة من الناس، فالجميع أمام الوعظ والإرشاد على حدٍّ سواء كما لا يقتصر على طبقة خاصّة من المجتمع دون أُخرى.

أمّا مجالس العلم فتخلو غالباً من التوجيه والإرشاد، أو مراعاة الجانب النفسي والأخلاقي إلّا في حدود التحصيل العلمي وما يستتبع ذلك من بيان منزلة العلم والعلماء، وأهميّة العلم لِما له من دور في شحذ الهمم وتقوية العزيمة على التحصيل، ومراعاة الوقت والالتزام وغير ذلك، ممّا له مدخلية بشكل وآخر في طلب العلم.

٤ـ ينبغي في الخطابة مراعاة المستوى المعرفي لدى الجمهور، وهو من الأمور النسبية التي تختلف من مجتمع إلى آخر، فعلى الخطيب أن يراعي ذلك في عرضه لموضوع الخطبة والقضايا المتعلّقة به، كما ينبغي أن يراعي التكامل المعرفي وأن لا

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٣٤١.

يقتصر على نمطيات تقليدية وقديمة يصعب أن يتفاعل معها أغلب الجمهور، بعد ملاحظة أنّ هناك عوامل كثيرة تؤثر على الجمهور، وعلى مستواه المعرفي والنفسي، التي ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار، أمّا مجالس العلم، فهي مقيّدة بطرح مسائل العلم وإقامة الدليل عليها، ومناقشة الآراء، ولا ينبغي لغير المؤهّلين علمياً حضور هذه المجالس، وهو واضح على مستوى الجامعات، فكلّ طالب يصل إلى المرحلة المتقدّمة بعد أن يجتاز مرحلة الاختبار للمرحلة السابقة، فيكون مؤهّلاً للمرحلة اللاحقة.

٥ـ إضافة عناصر التأثير إلى الخطابة كإثارة العواطف وبعث الأحاسيس ورفع الهمم، وهذا المنهج نراه واضحاً وجلياً في القرآن الكريم من خلال تعرّضه لقصص الأنبياء، التي تعدّ عاملاً مهمّاً يضاف إلى خطاباته وتوجيهاته، قال تعالى: ﴿كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾[1].

ويُعتبر التعرّض إلى فاجعة الطفّ الأليمة من مقوّمات المنبر الحسيني، الذي يحقق هذه الإثارات العاطفية، التي تعتبر من العوامل المساعدة، أو الرئيسة للإقناع وبحسب طبيعة ومستوى وعي الجمهور، لكن ذلك ليس هو الغرض الرئيس من التعرّض لواقعة الطفّ ومأساتها في المنبر الحسيني، بل تُعدّ هذه الواقعة جوهره وهويته الحقيقية، ومنها يستمد شرعيته. وإنّما أخذ المنبر الحسيني دوره التبليغي بهذا القدر؛ لأنّ الحسين عليه السلام أحيا الدين ومعالمه، ورسم منهج الحياة الحرّة للمسلم، فكان حريٌّ بهذا المنبر الذي ينتمي للحسين عليه السلام أن يتصدى لهذه المهمّة ليؤدي دوره الرسالي.

أمّا مجالس العلم، فهي في حلّ من ذلك كلّه؛ لأنّ غايتها الوقوف على مسائل العلوم وموضوعاتها وما يتعلّق بها، والهدف منها هو العلم والتعلّم وليس الإقناع كما هو الحال في الخطابة.

(١) يوسف: آية١١.

فإذا تم ما تقدّم نقف الآن على قضية مهمّة، ألا وهي حالة النقد المستمر للخطابة الحسينية، وكونها ذات نمطية ثابتة، ولا تميل إلى التجديد في موضوعاتها. والجواب: إنّ الصناعة الخطابية لها أُصولها الخاصة بها، وهي تحقق غاياتها من خلال الالتزام بهذه الأُصول، لكن ذلك لا يمنع أن تتوسع الموضوعات بعد ثبوت عدم محدودية موضوع الخطابة، وأنّها في سعة من هذه الجهة، لكن التعرّض للموضوعات الحديثة والمعاصرة يجب أن يكون ضمن ذلك الإطار المرسوم للخطابة، وليس خارجاً عنه، وعلى سبيل المثال: مسألة الإلحاد التي تعدّ من الموضوعات الحديثة من حيث إثارتها في هذا الوقت، وتأثر الشباب بها في مجتمعاتنا، فهذا الموضوع يمكن للخطيب أن يتناوله بشكل جزئي ويستعرض الأدلة والبراهين على بطلانه، بالشكل الذي يتوافق وعدم خروجه عن غرضه؛ لأنّ التعرّض للموضوعات العلمية وإقامة الأدلة عليها تتكفل به مجالس خاصّة، وهي مجالس العلم التي تتناول العلوم الحقيقية المحضة لاستيفاء مطالبها، والحصول على حالة اليقين بها، أمّا الخطيب فعليه «**تجنب أن يكون بيانه منطقياً وعلمياً معقداً، فلا يميل إليه الجمهور، الذي من طبعه الميل إلى الصور الكلامية الواضحة السريعة الخفيفة**»[1]، ولهذا قسّم أهل المنطق الناس على قسمين خاصّ وعامّ «**ولمّا كان المخاطب إنساناً وكلّ إنسان إمّا خاصّي، وإمّا عامّي، والخاصّي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق الخواص إلّا بالبرهان، والعامّي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق العوام إلّا بالخطابة، فالصناعتان النافعتان في أن يكتسب الناس تصديقاً نافعاً هما: البرهان، والخطابة**»[2].

المنبر الحسيني ومساحة التبليغ العقدي

واجه القرآن الكريم ـ ككتاب وحياني رسالي يعزّز قيمة الإنسان، ويزرع في نفسه العقيدة الصالحة والحقّة، ويستفز الإنسان نحو المبادئ والعمل الصالح ـ

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٣٩.

(٢) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق ـ فصل في منفعة الخطابة): ص٢.

تيّاراً مضاداً من قِبل المشركين، الذين حاولوا حجب الأُمّة عن القرآن الكريم بشتى السبل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[1]، لكن القرآن أعجزهم بعباراته وفنّه ومنهجيته، وسدّ أمامهم كلّ الطرق التي حاولوا بها التأثير على الناس؛ من أجل منعهم من الاستماع إلى هذا الكلام، وبيّن للناس غاية وجودهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2]، وأنّ العبادة لله تعالى لها مقدّمات، وأهمّها العقيدة والإيمان بالله تعالى، ووضع لهم أُسوة حسنة متمثّلة بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله، الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

وخلّف النبي صلى الله عليه وآله بعده كتاب الله وعترته أهل بيته، فكانوا عليهم السلام ترجمان الوحي والقرآن، والصورة الفعلية لجميع المفردات القرآنية السامية، وخاصّة الخمسة أصحاب الكساء؛ لأنّهم كانوا الأقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله، الذين شملتهم رعاية السماء، ورعاية النبي صلى الله عليه وآله بالتربية والتعليم، وترسيخ مبادئ القرآن الكريم والرسالة الإسلامية، فضلاً عن مقاماتهم العالية ومنزلتهم الذاتية، التي بينتها الآيات والروايات.

وجسّدت واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، تلك المظلومية والمأساة في تاريخ الأُمّة الإسلامية أروع معاني التفاني؛ من أجل الدين والعقيدة، فهي رسالة عملية، ومنهج راسخ، صنعه الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ الأُمّة، ولا شكّ في أنّ ذلك إنّما كان بمشيئة الله وتخطيط النبي صلى الله عليه وآله، واشتراك أهل البيت عليهم السلام في هذا التخطيط، فقد روى ابن طاووس أنّ ابن الحنفية قال لأخية الحسين عليه السلام: «... **فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك**

(١) فصلت: آية٢٦.
(٢) الذاريات: آية٥٦.
(٣) القلم: آية٤.

هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»[1].

وكان للحثّ والتركيز على إحياء هذه الذكرى من قِبل أهل البيت عليهم السلام دور كبير في زيادة الوعي، و«**تثقيف جمهورهم بالثقافة العامّة، والثقافة الدينية، والمذهبية الخاصّة، وتعميقها فيهم، فإنّ إحياء تلك المناسبات وإن كان الهدف منه بالدرجة الأُولى هو عرض الجانب العاطفي، الذي يخصّ المناسبة التي يراد إحياؤها، وما يناسب ذلك إلّا أنّه كثيراً ما تكون منبراً للثقافة العامّة، والثقافة الدينية، والمذهبية خاصّة**»[2].

فالمائز الحقيقي للمنبر الحسيني عن سواه من سائر وسائل التبليغ والدعوة للعقيدة والدين، هو ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، فهو حاكٍ عن مبادئ الحسين عليه السلام، وناطق باسمه، وسائر على ما رسمه له، ويتبيّن هذا من خلال ما نراه من خطباء المنبر الحسيني، ووصفهم لأنفسهم بأنّهم خدمة الإمام الحسين عليه السلام، باعتبارهم يتبعون منهجه ويسيرون على خُطاه. أمّا غيره من الوسائل الإعلامية والتربوية الدينية، فهي خاضعة لتأثير مَن يتصدّون لها بانتماءاتهم المذهبية والفكرية.

ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق بين المنبر الحسيني وثورة الإمام الحسين عليه السلام، كان للقضايا العقدية الاهتمام البالغ في مجمل موضوعات المنبر الحسيني، ويمكن بيان أبعاد ذلك في النقاط الآتية:

١ـ إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام وحيثياتها مرتبطة ارتباطاً منقطع النظير بالعقيدة الدينية، في جميع أبعادها وأسبابها ونتائجها، بل هي قائمة على أساس ديني محض، فكانت العقيدة إحدى أهمّ مبادئ ثورته الخالدة. والمنبر الحسيني يمثّل صوت الحق على مرّ العصور والأزمان، الذي يعبّر عن هذه الثورة ويتبنى أهدافها.

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٤٢٨ ـ ٤٢٩.

٢ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام بما له من مقام ومنزلة في الإسلام، يمثّل ركناً من أركان الدين، وبعبارة أُخرى: إنّ النبوة تُعدّ أصلاً من أُصول الدين والعقيدة، ولا يكفي الإيمان القلبي بها فحسب، بل لا بدّ من الإيمان بمصداقها المتحقق في الخارج، والوجدان شاهد على ذلك، فأغلب مَن كفر بنبوة الخاتم صلى الله عليه وآله ربما لا يجد حرجاً من الإيمان بالنبوة كفكرة عامّة، لكنّه يجحد بها فعلياً وعملياً بما لها من مصداق متحقق في الخارج، وهذا يتعدى إلى الإمامة أيضاً، فالإمام الحسين عليه السلام إمام منصوص عليه من قِبل النبي صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين إماما حق قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما**»[1]، فعلى ذلك كان الحسين عليه السلام بذاته يمثِّل ركناً مهمّاً في الدين والعقيدة، فالدعوة للحسين عليه السلام ولأفعاله وأقواله وتقريراته إنّما هي دعوة للدين.

٣ـ كون المنبر الحسيني أحد وسائل الدعوة والتبليغ الديني من جهة، واعتبار العقيدة الدينية محور الدين وقطب الرحى الذي تدور عليه مسائله، فقد أخذ دوره في بناء العقيدة الدينية والدعوة إليها وترسيخها في المجتمع المسلم، فضلاً عن كونه الأقرب إلى واقع الجماهير، والمستوفي لجميع الشروط التي تقدّمت من ناحية منهجيته الخطابية، وتوافره على عناصر الإثارة والتأثير العاطفي، وبذلك أصبح المنبر الحسيني اليوم فاعلاً ومؤثراً بشكل كبير إلى حدٍّ تغيّبت معه سائر وسائل التبليغ والدعوة، ما عدا ما فرض منها شرعاً كصلاة الجمعة والعيدين.

وممّا ساعد المنبر الحسيني على توسيع مقبوليته لدى الجمهور، هو اعتماده على منهجية ذات أُسس علمية (بالاعتماد على فن الخطابة)، وفي الوقت نفسه ذات صبغة إسلامية جلية من خلال مقارنته مع القرآن والروايات، فالقرآن الكريم قد تعرّض لمقاتل عدّة في آياته، منها: مقتل هابيل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج١، ص٣٧.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، كما أنّ الروايات تضافرت على بكاء النبي صلى الله عليه وآله على الإمام الحسين عليه السلام، وفعله حجة بإجماع المسلمين، إضافة إلى دور أهل البيت عليهم السلام في بيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، ومنها: خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد (لعنه الله) «... **فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له فليصعد المنبر، فلعلّنا نسمع منه شيئاً. فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلّا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا ؟ فقال: إنّه من أهل بيت قد زُقوا العلم زقاً. قال: فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبةً أبكى منها العيون...**»[2]. وهذا ما أعطى للمنبر الحسيني شرعية واضحة، سواء في تعرضه لمقتل الإمام الحسين عليه السلام أم الاعتماد عليه في طرح موضوعات دينية عقدية وأخلاقية تربوية.

وللمنبر الحسيني ـ باعتبار ما له من أُصول وخصوصيات ـ أُسلوب ونمطية خاصّة في تناول المسائل العقدية؛ ليضمن معها بناء عقيدة صالحة لدى الجمهور بما يلائم مستوياتهم الفكرية، ويشمل مختلف الموضوعات العقدية، ويحقّق أكبر مساحة تبليغية لدى الجمهور. ويظهر ذلك من خلال بيان النقاط الآتية:

١ـ إنّ المنبر الحسيني مكلّف بمخاطبة الجمهور، فخطابه يتسم بالعمومية، وهذا ما يحمله على مراعاة العقلية والنفسية والثقافة العامّة، ويتحرّى الموضوعات الملائمة لذلك، ويتجنب ما يولد الشبهة لديهم، وما يحتاج إلى نوع من الإطناب الذي لا يلائم المقام. وبعبارة أُخرى: على الخطيب اختيار مادته الخطابية بدقة؛ لأنّ غرضه إقناع الجمهور كما تقدّم، والتعرّض للمسائل العقدية بشكل معمّق يُخرجه عن وظيفته الأساسية.

---

(١) المائدة: آية٢٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٨.

٢ـ من مقتضيات الصناعة الخطابية توظيف القضايا المشهورة، التي توجب الظنّ أو التصديق لدى الجمهور، واستعمال القياس والتمثيل مع إضافة العناصر الأُخرى، كعنصر العاطفة والإثارات القصصية وغيرها؛ لأنّ الاقتصار على طرق الاستدلال المنطقية لا يحقق غرضه في الإقناع، وهذا ما يبتعد عنه الجمهور ولا يستسيغه، فإذا تقيّد بذلك، أصبحت موضوعاته مرتبطة بالمسائل العامّة في العقيدة، دون الخوض في الجزئيات الدقيقة.

٣ـ تعدد موضوعات فن الخطابة يجعل المنبر الحسيني في سعة من هذه الناحية، فله أن يختار أيّ موضوع عقائدي للبحث فيه وبيان آثاره الدنيوية والآخروية، وإقناع جمهوره للالتزام به، بمعنى أنّ بناء العقيدة في ثقافة الجمهور تكون على نحو الإجمال لا التفصيل؛ لأنّ التفصيل في مقدّمات الموضوع ومسائله قد تكفّلت به مجالس العلم الخاصّة.

٤ـ يتحرّى المنبر الحسيني الشمولية في موضوعاته، ولا يتسنى له ذلك عند طرح الموضوعات العقائدية بشيء من التركيز؛ لأنّ توضيح كلّ موضوع يرتبط بأُصول الدين أو فروعه، بحاجة إلى بيان حججه الإقناعية وطرقه الاستدلالية، وكذلك بيان آثاره على الصعيد الأُخروي، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي، وهذا ما يحتاج إلى سعة من الوقت قد لا تتوفر غالباً لدى الخطيب؛ ولذا عليه أن يتجنّب الخوض في التفاصيل؛ لضمان استيعاب هذه الجوانب.

٥ـ عقد المجالس الخاصّة كمجالس المجتهدين في أروقة الحوزات الدينية، والأكاديميين في قاعات الجامعات، وهي مجالس تعقد للعلوم المحضة، وبيان مقدّماتها ومسائلها وطرق الاستدلال عليها تفصيلاً، وهي تقتصر على مجموعة خاصّة مؤهلة لدراسة هذه الموضوعات وبطريقة علمية، أمّا المنبر الحسيني فمقيّد بمنهجه الخاصّ، الذي يختلف من جهات عدّة عن طبيعة هذه المجالس، بل يستعين بها في براهينه واستدلاله على القضايا التي تثبت حجيتها من خلال هذه المجالس،

ولا ينبغي تحميل المنبر الحسيني شيئاً ليس من صميم مهمّته التبليغية.

فيتبيّن لنا من خلال هذه المنهجية التي يتسم بها المنبر الحسيني أنّ من اهتماماته هي زيادة الوعي عند الفرد المسلم، ويبدأ الوعي في تبني العقيدة الصحيحة الصالحة، والرؤية الحقيقية للدين، لا أنّه في معزل عن العقيدة، بل هو نابع من تبنّي العقيدة الحقّة في الإمامة والنبوة، التي تعود إلى التوحيد والطاعة لله تعالى، غاية الأمر أنّه أُسلوب توجيهي له نمطه الخاصّ، الذي يعتمد في منهجيته على القرآن الكريم وما حقّقه العلماء في فن الخطابة مع ما له من خصوصيات من جهة ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، والالتزام بتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، فأضحى له الدور البارز في توجيه الناس وبناء عقيدتهم الصالحة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.

٢ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ـ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.

٤ـ تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي المعروف بابن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الثانية،١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش.

٦ـ التربية الدينية دراسة منهجية للأُصول العقيدة الإسلامية، عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٧ـ تفسير جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٨ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبعة: المغرب، ١٣٨٧هـ.
٩ـ التوحيد، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٠ـ جامع الأحاديث، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جمع وترتيب: أحمد صقر، وأحمد عبدالجواد، دار الفكر، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١١ـ الخطابة، أرسطو طاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩م.
١٢ـ دعائم الإسلام، النعمان بن محمد القاضي المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
١٣ـ ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
١٤ـ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام، محمد محمد صادق الصدر، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٥ـ الشفاء (المنطق)، الحسين بن عبد الله ابن سينا، تحقيق: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، إيران ـ قم، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٦ـ الغدير، عبد الحسين بن أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
١٧ـ غرر الحكم ودرر الكلم، أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن رهيني، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٨ـ فاجعة الطف (أبعادها ثمراتها، توقيتها)، محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، دار الهلال.
١٩ـ فن الخطابة، أحمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.
٢٠ـ الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢١ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قدم له وعلق حواشيه: الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢٢ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
٢٣ـ كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٤ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى ابن طاووس، الناشر: أنوار الهدى، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٥ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٢٦ـ المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، المطبعة: سليما نزاده، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٧ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٨ـ المنطق، محمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٩ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٠ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، المطبعة: أسوه، ١٤١٦هـ.